﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: 104]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمّا توجَّهَ بيانُ اللّهِ تعالى في الآيةِ السَّابقةِ بالتَّربيةِ الرَّبَّانيَّةِ القُرآنيَّةِ لجماعةِ المؤمنينَ بوجوبِ الاعْتصامِ بدينِ اللّه، ونَبْذِ التَّفرقة، وشُكرِ اللّهِ على نعمِه عليهم؛ خَلُصَ ذاكَ الأمرُ ببناءِ مجتمعٍ إيمانيٍّ، ومن ضِمنِه فئةٌ مؤمنةٌ بارَّةٌ عالمةٌ، توجَّه الأمرُ إليها في هذه الآيةِ بحملِ مهمَّةٍ عظيمةٍ هي القيامُ بالأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكر، وأخبرَنا اللّهُ ﷻ بأنَّ هؤلاءِ همُ المفلحون.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أُمَّةٞ﴾: أمَّ: الهمزةُ والميمُ المشدَّدَة أصلٌ واحد، والأُمَّةُ: الدِّين، قالَ اللّهُ تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾ [الزُّخرف: 22].

وكذلكَ كلُّ مَنْ كانَ على دينٍ حقٍّ مُخالِفٍ لسائرِ الأديان؛ فهو أُمَّة، وكلُّ قومٍ نُسِبوا إلى شيءٍ، وأُضيفُوا إليه؛ فهم أُمَّة، وكُلُّ جيلٍ من النَّاس أُمَّةٌ على حِدَة.

وتأتي الأُمَّةُ بمعنى: الإمامِ الَّذي يُهتدَى به، وهو سببُ الاجْتماع، كما قالَ تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ﴾، وقد تكونُ الأُمَّةُ جماعة من العلماء، وهو المعنَى المرادُ في الآيةِ الَّتي معنا: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾[1].

2) ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: المعروفُ: اسْمٌ لكلِّ فِعْلٍ يُعرَفُ بالعقلِ أو بالشَّرْعِ حُسْنُه.

3) ﴿ٱلۡمُنكَرِۚ﴾: ما يُنكَرُ بهما، وهو المعنَى المرادُ في الآيةِ الَّتي معنا.

ولهذا قيلَ للاقْتصادِ في الْجُود: مَعْروفٌ؛ لَمَّا كانَ ذلكَ مُسْتحْسَنًا في العقولِ وبالشَّرع، كما قالَ تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ [النِّساء: 6]»[2].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أم).
(2) الرَّاغب، المفردات: (عرف).

❁ المَعْنَى الإجْمَالِيُّ:

يأمرُ اللهُ تعالى نبيَّه محمَّدًا ﷺ وأُمَّته أنْ تتولَّى جماعةٌ من العلماءِ منهم من أهلِ الفِقْه والفَهْم دَعْوةَ النَّاسِ إلى الخَيْر، ومن أَخَصِّه الأمرُ بكلِّ فعلٍ يُعرَفُ بالشَّرْعِ والعقلِ حُسْنُه، والنَّهيُ عن كلِّ فعلٍ يُنكَرُ بهما، مُخبِرًا سُبحانَه وتعالى أنَّ أولئكَ الآمرينَ بالمعروفِ والنَّاهينَ عن المنكرِ هُمُ المفلحونَ عندَ اللهِ ﷻ.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

العَطْفُ، والوجوبُ، وأثرُهما في توضيحِ المعنَى:

أفادَ العطفُ والوجوبُ ضرورةَ قيامِ جماعةٍ من علماءِ الأُمَّةِ بدعوةِ النَّاسِ إلى الخَيْر

قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾: مُفرَّعٌ عنِ الكلامِ السَّابق، ولذلكَ كان حَرِيًّا بأن يُعطفَ بالفاءِ، ولو عُطِفَ بها؛ لكانَ أسلوبًا عربيًّا سائغًا، إلَّا أنَّه عُدِلَ عن العطفِ بالفاءِ؛ تنبيهًا على أنَّ مضمونَ هذا الكلامِ مقصودٌ لذاتِه، بحيثُ لو لم يَسبِقْه الكلامُ السَّابقُ؛ لكانَ حَرِيًّا بأن يُؤمَرَ به، فلا يكونُ مَذْكورًا لأَجْلِ التَّفرُّعِ عن غيرِه والتَّبَع.

وصيغةُ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ صيغةُ وُجوب؛ لأنَّها أَصْرَحُ في الأمرِ من صيغةِ (افْعلُوا)، ولأنَّها أصلُها، فإذا كانَ الأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عنِ المنكَرِ غيرَ معلومٍ بينَهم من قبلِ نزولِ هذه الآية، فالأمرُ لتشريعِ الوُجوب.

وإذا كانَ ذلكَ حاصلًا بينَهم من قبلُ، كما يدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: 110]، فالأمرُ لتأكيدِ ما كانوا يفعلونَه، بل فيه زيادةُ الأمرِ بالدَّعوةِ إلى الخَيْر، وهي أعمُّ من الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكر، وهو فردٌ من أفرادِها، أُفرِدَ لمزيدِ مَزِيَّتِه، وعظيمِ أَثَرِه، وقد كانَ الوجوبُ مُقرَّرًا من قبلُ بآياتٍ أُخْرى، مثلِ قولِه تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: 3]، فالأمرُ

لتأكيدِ الوُجوبِ أيضًا للدَّلالةِ على الدَّوامِ والثَّباتِ عليه، كما في قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ [النِّساء: 136][1].

قولُه تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ﴾، ﴿وَلۡتَكُن﴾ فيها وَجْهان:

الأوَّلُ: أنْ تكونَ تامَّةً، و(مِن) تبعيضيَّةٌ متعلِّقةٌ بالأمرِ أو بمحذوفٍ، على أن تكون صفةً لأمَّةٍ قُدِّمَ عليها، فصارَ حالًا من الفاعلِ، وهو ﴿أُمَّةٞ﴾، و﴿يَدۡعُونَ﴾ صفتُها، أي: لتوجَدْ منكم أُمَّةٌ داعيةٌ إلى الخَيْر.

والثَّاني: أنْ تكونَ النَّاقصة، و﴿أُمَّةٞ﴾ اسْمُها، و﴿يَدۡعُونَ﴾ خبرُها، أي: لتكُنْ منكم أُمَّةٌ داعينَ إلى الخَيْر[2].

وأيًّا ما كانَ من الوَجهَيْن؛ فتوجيهُ الخطابِ إلى الكُلِّ مع إسْنادِ الدَّعوةِ إلى البعضِ لتحقيقِ معنَى فَرْضيَّتِها على الكفايةِ، وأنَّها واجبةٌ على الكُلِّ لكنْ بحيث إنْ أقامَها البعضُ؛ سقطتْ عنِ الباقين، ولو أخَلَّ بها الكُلُّ؛ أثِموا جميعًا لا بحيث يتحتَّم على الكُلِّ إقامتُها على ما يُنبِئُ عنه قولُهُ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢﴾ [التَّوبة: 122]، ولأنَّها من عَظَائِم الأمور وعَزائمها الَّتي لا يتولَّاها إلَّا العلماءُ بأحكامِه تعالى ومراتبِ الإحسانِ وكيفيَّةِ إقامتِها، فإنَّ مَنْ لا يعلمُها يُوشِكُ أنْ يَأمُرَ بمُنكَرٍ، ويَنْهَى عن مَعْروف، ويَغلُظَ في مَقامِ اللِّين، ويَلينَ في مَقَامِ الغِلظَة، ويُنكِرَ على مَنْ لا يَزيدُه الإنكارُ إلَّا التَّماديَ والإصْرار.

ويمكنُ أنْ تكونَ (مِن) بيانيَّة، وقد قُدِّم البيانُ على المبيَّن، فيكونُ ما صَدَقُ الأمَّةِ نفسُ الصَّحابة، وهم أهلُ العصرِ الأوَّل، كما في قولِه تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [الفتح: 29]، والأمرُ من (كانَ) النَّاقصة، والمعنَى عندئذٍ: كُونُوا أُمَّةً تَدْعونَ إلى الخَير.

ولا يَقْتضي ذلكَ أنْ تكونَ الدَّعوةُ فرضَ عَيْن، فإنَّ الجهادَ من فُروضِ الكِفايةِ مع ثُبوتِه بالخطابِ العامِّ، والدُّعاءُ إلى الخير عبارةٌ عن الدُّعاءِ إلى ما فيه صلاحٌ دينيٌّ أوْ دُنيويٌّ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/36 - 37.
(2) العكبري، التبيان: 1/145.

عَطْفُ الخاصِّ على العامِّ، وحذفُ المفعول، والإشارةُ، والقَصْرُ، وَأَثَرُ ذلكَ كلِّه في تَجْليةِ المعنَى وإثْرائه:

أفـــادَ نـظـمُ السِّياقِ بأركانِه إظـهـارَ فضيلةِ الأمـرِ بالمعروفِ والـنَّـهـيِ عـن المـنـكـر، وأنَّ الفلاحَ كلَّه لمن قامَ بهما

قولُه تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: عَطَفَ بيانُ اللهِ الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المنكرِ على ما سبَقه مع انْدراجِهما فيه من بابِ عَطْفِ الخاصِّ على العامِّ؛ لإظهارِ فَضْلِهما وعُلُوِّهما على سائرِ الخَيْرات، وحَذْفُ المفعولِ الصَّريحِ من الأفعالِ الثَّلاثةِ: إمَّا للإيْذانِ بظهورِه، أي: يَدْعونَ النَّاسَ، ويأمُرونَهم، ويَنْهَوْنَهم، وإمَّا القَصْدُ إلى إيجادِ نَفْسِ الفعل، أي: يفعلونَ الدُّعاءَ إلى الخَيرِ والأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عنِ المنكر[1].

والمعروفُ: هو ما يُعْرَفُ عند أهلِ الشَّرائع، فهو ما حسَّنه الشَّرعُ، ودعا إليه، وهو مجازٌ في المقبولِ المرضيِّ به؛ لأنَّ الشَّيءَ إذا كانَ معروفًا؛ كانَ مألوفًا للنُّفوسِ مَقْبولًا عندَها مَرْضيًّا به.

والْمُنكَرُ مجازٌ في المكروه، والكُرْهُ لازمٌ للإنكار، وهو ما أنكرَهُ الشَّرعُ، وكَرِهَه، ويُسمَّى غيرُ المألوفِ: نَكِرةً من هذا الباب.

والتَّعريفُ في (الخيرِ، والمعروفِ، والمنكَر) تعريفُ الاسْتغراق، فيُفيدُ العمومَ في كلِّ ما أنْهَاهُ إلينا الشَّرْعُ وعلَّمنا إيَّاه.

والمعروفُ والمنكرُ - إنْ كانا ضروريَّيْنِ - كانَ لكلِّ مُسلم أنْ يأمرَ ويَنْهى فيهما، وإنْ كانَا نظريَّيْنِ؛ فإنَّما يقومُ بالأمرِ والنَّهي فيهما أهلُ العلم وذَوُو الاختصاص[2].

قولُه تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ معطوفةٌ على صفاتِ ﴿أُمَّةٌ﴾، وهي الَّتي تضمَّنَتْها جُمَلُ ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾، و﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، والتَّقدير: وهم مُفلحون؛ لأنَّ الفلاحَ لَمَّا كان مُسَبَّبًا على تلكَ الصِّفات الثَّلاثِ؛ جُعِلَ بمنزلةِ صِفةٍ لهم.

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 1/528 - 529.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/40.

ويجوزُ جَعْلُ جُملةِ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ حالًا من ﴿أُمَّةٌ﴾؛ إذِ الواوُ للحال.

وهذه الجُملةُ القرآنيَّةُ زَفَّتِ البِشارةَ بالفلاحِ الكاملِ لمن تمثَّل تلكَ الصِّفاتِ الثَّلاث.

وكانَ مُقتضَى الظَّاهرِ فصل جُملةِ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ عمَّا قبلَها بدونِ عَطْفٍ، مثلَ: فَصْلِ جُملةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: 5] لكنَّ هذه عُطِفتْ هنا، أو جاءتْ حالًا؛ لأنَّ مَضمونَها جزاء عن الجُمَلِ الَّتي قَبلَها، فهي أَجْدَرُ بأنْ تُلحَقَ بها.

ومُفادُ هذه الجملةِ قصْرُ صفةِ الفلاحِ عليهم[1].

"وضميرُ الفَصْلِ ﴿هُمُ﴾ يَفْصِلُ بينَ الخبرِ وصفتِه، ويُؤكِّدُ النِّسبةَ، ويُفيدُ اخْتصاصَ المُسنَدِ بالمُسنَدِ إليه، أو هو مبتدأٌ خبرُه ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، والجملةُ خبرٌ لـ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾، وتعريفُ ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: إمَّا للعَهْد، أو للإشارةِ إلى ما يَعرِفُه كلُّ أحدٍ من حقيقةِ المفلحين"[2]، والإشارة بـ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ للبعد المعنويِّ، وليس الحسِّي لرفعة درجتهم وعلوِّ منزلتهم، وذكرها هنا لمزيد تقرير العناية بهم.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الأُمَّة والجَماعة:

قولُهُ تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾: الجماعةُ: مجموعةٌ من النَّاسِ انْضمَّ بعضُهم إلى بعضٍ من (الجَمْع)، وهو ضمُّ الشَّيءِ بتَقْريبِ بعضِه من بعض، يُقالُ: جمعتُه، فاجْتَمَع، قالَ تعالى: ﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [سبأ: 26]، وهي كذلكَ من (الاجْتماع)، قالَ تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ [الإسراء: 88].

وقولُهم: يومُ الجُمُعَةِ؛ لاجْتماع النَّاسِ فيه للصَّلاة، قالَ تعالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمعة: 9][3].

والأُمَّةُ: قومٌ أو جماعةٌ نُسِبُوا إلى شيءٍ وأُضيفُوا إليه، وهي كذلك: كلُّ مَنْ كانَ على دينٍ حقٍّ مخالفٍ لسائرِ الأدْيَان، فاجْتماعُ الجماعةِ يكونُ على أمرٍ ذي بالٍ، وخاصَّةً ما كان على دينٍ إلهيٍّ حقٍّ، كدينِ الإسلام، وأَوْلى النَّاس بهذا الأمرِ هُمُ العُلَماء.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/40، 42.

(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 1/529.

(3) الرَّاغب، المفردات: (جمع).

ولذلكَ استخدمَ البيانُ الإلهيُّ كلمةَ ﴿أُمَّةٌ﴾، ويُمثِّلُها العلماء؛ لأنَّهم همُ الَّذين يَتولَّوْنَ أمرَ الدَّعوةِ إلى الخَيْر، والأمرَ بالمعروفِ، والنَّهيَ عن المُنكر.

وليس أيُّ جماعةٍ تجتمعُ على وَجْهِ العمومِ، لا تملكُ العلمَ والفَهْمَ للقيامِ بهذه المهمَّة الكبيرة.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»